

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نَفَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ، مُتِمِّ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْأَسْوَدُ الْحَسَنَةُ وَصَاحِبُ الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، ﷺ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ ذَوِي الْهَدْيِ الْقَوِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - تَكُونُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(٢).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

يُنَبِّهُنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْإِيمَانَ ثَابِتٌ ثَبَاتَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، لَا يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، فَلَا يُعْيِرُهُ فَقْرٌ، وَلَا يُبَدِّلُهُ غِنَى، وَلَا يَجْلِبُهُ ضَعْفٌ وَلَا تَذْهِبُهُ قُوَّةٌ، بَلْ إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ بَيْنَ شُكْرِ وَصَبْرٍ، وَالشُّكْرِ إِيْمَانٌ وَالصَّبْرُ إِيْمَانٌ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الْإِيمَانُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ قُوَّةً يَسْتَطِيعُ بِهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْأَزْمَاتِ، وَيَقْطَعَ بِهَا الْعَقَبَاتِ، وَيَنْجَحَ فِي الْأَخْتِبَارَاتِ، وَيَفُوزَ فِي الْإِبْتِلَاءَاتِ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَكُونُونَ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ هُمُ الصَّادِقُونَ الَّذِينَ وَعَدَهُمُ اللَّهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَذَلِكَ الْجَزَاءُ يَجِدُونَ أَثْرَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَجْنُونَ ثَمَرَتَهُ فِي الْآخِرَةِ؛ فَبِالدُّنْيَا بَرَكَهٌ وَرِضًا، وَطُمَأْنِينَةً وَتَسْلِيمًا، وَتَقْوِيضًا وَتَوَكُّلًا، وَفِي الْآخِرَةِ فَوْزٌ عَظِيمٌ بِجَنَّةٍ فِيهَا ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣)، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ هَذَا الْفَرِيقِ: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ

(١) سورة الحشر/ ٢٢.

(٢) سورة الأنفال/ ٣٤.

(٣) سورة الزخرف/ ٧١.



يَصِدِّقَهُمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ - عِبَادَ اللَّهِ - مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ عَلَىٰ إِيمَانٍ، أَوْ زَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنَّهُ عَلَىٰ إِيمَانٍ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْإِيمَانَ الْمَرْعُومَ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْهَارَ عِنْدَ أَوَّلِ ابْتِلَاءٍ؛ لِيُظْهَرَ لِصَاحِبِهِ أَنَّ إِيمَانَهُ أُسِّسَ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ عِنْدَ الْاِخْتِبَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَنَكَّشَفُ لَهُ حَالُهُ عِنْدَ الْاِبْتِلَاءِ بِالْخَيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَنَكَّشَفُ لَهُ حَالُهُ عِنْدَ الْاِبْتِلَاءِ بِالشَّرِّ، كَمَا أَخْبَرَ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٢)، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ عَلَىٰ إِيمَانٍ يَظْهَرُ فِي حِفَاطِهِ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِ، وَصِدْقِهِ فِي سُلُوكِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، وَإِحْسَانِهِ بِوَالِدَيْهِ وَذَوِي الْقُرْبَىٰ وَجِيرَانِهِ، ثُمَّ بَدَأَ شَيْئًا فَشَيْئًا يَتَغَيَّرُ، فَمِنْ حِفَاطٍ إِلَىٰ تَضْيِيعٍ، وَمِنْ صِدْقٍ وَوَفَاءٍ إِلَىٰ التَّوَاءِ وَإِخْلَافٍ، وَبَدَأَ يَتَلَاشَىٰ ذَلِكَ التَّوَاضُعُ، وَتَعَرَّبُ تِلْكَ الْأَخْلَاقُ، وَتَغَيَّبُ تِلْكَ السَّجَايَا الْحَسَنَةَ، فَلِمَاذَا كَانَ ذَلِكَ التَّغْيِيرُ؟ وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ التَّحَوُّلِ؟ إِنْ أَخَذْتَ تُفَكِّرُ لَمْ تَجِدْ إِلَّا رِزْقًا كَانَ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ، وَوُضُيْفَةً كَانَ حَقِيقًا بِهَا أَنْ يَزْدَادَ هُدًى، أَيْكُونُ الْغِنَى مَانِعًا مِنَ الْإِحْسَانِ وَالتَّوَاضُعِ! وَهَلْ تَكُونُ الْوُضُيْفَةُ الْكَبِيرَةُ مَانِعَةً مِنْ صُنْعِ الْمَعْرُوفِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ!

وَإِنَّ لَنَا - عِبَادَ اللَّهِ - لَمَثَلًا فِي قَارُونَ الَّذِي كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ، وَقَدْ كَانَ - فِيمَا قِيلَ - يُلَقَّبُ بِالْمُنَوَّرِ لِحُسْنِ صَوْتِهِ فِي تِلَاوَتِهِ لِلتَّوْرَةِ، فَلَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الْغِنَى وَآتَاهُ ﴿ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ (٣)، انْقَلَبَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ، وَنَبَذَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَاتَّخَذَ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَىٰ ظَهْرِيًّا، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاصِحُونَ فَنَهَوْهُ عَنِ نِسْيَانِ اللَّهِ وَأَنَّ تِلْكَ الْكُنُوزَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَقَالُوا لَهُ: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾، وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤)، إِلَّا أَنَّ قَارُونَ قَدْ تَمَلَّكَهُ الْعُجْبُ، وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَنَسِيَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْغِنَى، وَنَسَبَ غِنَاهُ إِلَىٰ عِلْمِهِ وَخَبْرَتِهِ وَاجْتِهَادِهِ.

(١) سورة الأجزاء/ ٢٣، ٢٤.
 (٢) سورة الأنبياء/ ٣٥.
 (٣) سورة القصص/ ٧٦.
 (٤) سورة القصص/ ٧٦، ٧٧.



وَلَكِنْ يَا قَارُونَ مُوسَى، وَيَا قَارُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ: أَلَمْ تَكُنْ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ! أَلَمْ تَكُنْ جَاهِلًا فَعَلَّمَكَ اللَّهُ! أَلَمْ تَكُنْ مِنْ غَيْرِ جَاهٍ فَأَتَاكَ اللَّهُ الْجَاهُ! أَلَسْتَ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ فِيهِمْ: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)، أَلَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (٢)، وَمَا أُخْرَىٰ ذَا الْغِنَىٰ أَنْ يَكُونَ غِنَاهُ بَابًا لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ! وَمَا أَجْدَرَ صَاحِبِ الْمَنْصِبِ الْكَبِيرِ أَنْ يَكُونَ مَنْصِبُهُ طَرِيقًا إِلَى الْفَوْزِ الْكَبِيرِ!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَلِّمُوا أَنْ الْإِيمَانَ شَجَرَةٌ كَرِيمَةٌ يَجِبُ أَنْ تُتَعَهَّدَ بِالسَّقْيِ؛ فَإِنْ سُقِيَتْ نَمَتْ وَأَزْهَرَتْ وَأَثْمَرَتْ، وَحَصَدَ صَاحِبُهَا ثَمَرَتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (٣)، وَإِنْ أَهْمَلَهَا صَاحِبُهَا اصْفَرَّتْ فَيَبِسَتْ، ثُمَّ كَانَتْ حُطَامًا ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٤)، وَسَقْيُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ يَكُونُ بِالتَّذْكَرِ وَالتَّذْكَيرِ ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَىٰ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْمُؤْمِنُ مُحْتَاجًا إِلَى الدِّكْرَىٰ لَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهَا نَبِيَّهُ، وَلَمَا أَرْسَلَهُ

(١) سورة النحل/ ٧٨.
(٢) سورة الأنعام/ ٩٤.
(٣) سورة النساء/ ١٣٤.
(٤) سورة الزمر/ ٢١.
(٥) سورة الذاريات/ ٥٥.



مُذَكِّرًا فَقَالَ لَهُ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (١).

وَمَا أَحْوَجُنَا إِلَىٰ أَنْ نُرَبِّي نَفُوسَنَا وَنُرَبِّي أَوْلَادَنَا عَلَىٰ إِيْمَانٍ مَّرِيْمٍ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - ، فَجَلَسَ مَعَ نَفُوسِنَا مُعَدِّدِينَ لَهَا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، قَائِلِينَ لَهَا عِنْدَ ذِكْرِ كُلِّ نِعْمَةٍ ﴿ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا ﴾ (٢) ، لِتُجِيبَ تِلْكَ النُّفُوسُ: ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣) ، وَنَجَلَسَ مَعَ أَوْلَادِنَا وَنَصَنَعَ مَعَهُمْ مِثْلَ هَذَا الصَّنِيعِ ، لِتَنْشَأَ نَفُوسٌ عَلَى رَدِّ الْفَضْلِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ ، مُتَحَقِّقًا فِيهَا بَاطِنًا وَظَاهِرًا قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) ، فَلَا يُغَيِّرُ ذَلِكَ الْإِيْمَانَ الرَّاسِخَ بَعْدَ ذَلِكَ غَنَى وَلَا مَنْصِبٌ كَبِيرٌ وَلَا جَاهٌ ، بَلْ هُوَ إِيْمَانٌ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ((الْإِيْمَانُ أَثْبَتُ فِي قُلُوبِ أَهْلِهِ مِنَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي عَلَى قَرَارِهَا)).

هَذَا ، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا ، وَاجْعَلْ تَقَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّقًا مَعْصُومًا ، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ

(١) سورة الغاشية/ ٢١ .
(٢) سورة آل عمران/ ٣٧ .
(٣) سورة آل عمران/ ٣٧ .
(٤) سورة آل عمران/ ٧٣ .
(٥) سورة الأحزاب/ ٥٦ .



الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ إِلَّا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، واحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

